شـــوقي و الرافـــعي
فى النـــــحو
لأســـتاذ جليـــل

قال الأستاذ محمد سعيد العريان فى مقالاته الأنيقة (الرافعية) فى (الرسالة) الجامعة الغراء : « وكانت — يعنى مقالة الرافعى فى شوقى فى المقتطف — دراســة أعتقد أن أحداً من كتاب العربية لم يكتب مثلها عن شوقى أو يبلغ ما بلغ الرافعى بمقاله . وكان مما أخذ الرافعى على شوقى وسماه غلطات فى النحو أو اللغة أن شوقى ابتدأ بالنكرة فى قوله :

ليــلى ، مناد دعا ليــلى نخف له
نشوان فى جنبات الصدر عربيد

أقول : الحقّ أنّ مقالة الأديب الكبير الأستاذ الرافعى في (أمير الشعراء) — رحمة الله عليهما — هى من أبلغ ما قال القائلون فى شوقي ، وأما قول الأستاذ محمد سعيد : إن شوقياً ابتدأ بالنكرة فى قوله : ليلى ، البيت ، فهناك اشتباه والأشياء تشتبه . وهذا البيت لم يروه الأستاذ الرافعى ، والذى أورده فى مقالته فى المقتطف الغراء فى أبيات وخطّأ (نحويته) وصوّبها الكاتب المشهور الأستاذ (العقاد) هو هذا :

إن رأتنى تميل عنى كأن لم تك بيني وبينها أشـــياء

وابن مالك يقول : « وبعد ماض رفعُك الجزا حسن » ويقول ابن عقيل : « إذا كان الشرط ماضياً والجزاء مضارعاً جاز جزم الجزاء ورفعه ، وكلاهما حسن » وأدق من قولى ابن مالك وابن عقيل قول تلميذ (الخليل) فى (الكتاب) « وقد تقول : « إن أتيتنى آتيك أى آتيك إن أتيتنى » ، قال زهير :

وإن أتاه خليــل يوم مســألة
يقول : لاغائب مالى ولاحـرِمُ »(١)

(١) الخليل : المحتاج ذو الخلة ، والحرم بمعنى الحرام أى إذا سئل لم يعتل بغيبة مال ولا حرمه على سائله (الشنقيطى)

وفى (كتاب الله) : « من كان يريد حَرْث الآخرة نَزِدْ له فى حرثه ، ومن كان يُريد حرث الدنيا نؤتِهِ منها ، وما له فى الآخرة من نصيب »

فالرفع حسن والجزم أحسن ، وللنحاة فى الترجيح أقوال

وأما قول شوقى : «ليلى مناد دعا ليلى نخف له الخ» وابتداؤه بالنكرة فنذكر الكلام فى ذلك لابن الدهان وقد استجاده الرضى فنقله فى (شرح الكافية) : « قال ابن الدهان — وما أحسن ما قال : إذا حصلت الفائدة فأخبر عن أى نكرة شئت ، وذلك لأن الغرض من الكلام إفادة المخاطب ، فإذا حصلت جاز الحكم سواء تخصص المحكوم عليه بشىء أو لا . فضابط تجويز الإخبار عن المبتدا وعن الفاعل سواء كانا معرفتين أو نكرتين مختصتين بوجه أو نكرتين غير مختصتين بشىء — واحد : وهو عدم علم المخاطب بحصول ذلك الحكم للمحكوم عليه . فلو علم فى المعرفة ذلك كما لو علم قيام زيد مثلا فقلت : زيد قائم عُدَّ لغواً ، ولو لم يعلم كون رجلٍ ما من الرجال قائماً فى الدار جاز لك أن تقول : رجل قائم فى الدار ، وإن لم تتخصص النكرة بوجه ، وكذا تقول : كوكب انقض الساعة ، قال الله تعالى : « وجوهٌ يومئذٍ ناضرة »

* * *

الحديث عن (شوقى) ذكّرنى عبارات من مرثية قيلت فيه :

بُلبُـلُ (الكرْمة) ولّى ! أين غاب البُـلبُـل ؟
أين غاب البُـلبُـلُ ؟ !
زَهَـرُ (الكرمةِ) يبكى بدموعٍ ظاهراتٍ فى الصباح !
فَنَنُ (الكرمة) آسٍ : لا اهتزازٌ ، لا ارتياحٌ ، لا طرَب !
بَهْجةٌ زالت ، وجاءتْ وَحشةٌ ، وعَرا (الكرمةَ) حُزْنٌ لا يَريمُ (١) !
أبا على ، الشعرُ بعدكَ ما نطق !

الاسكندرية « * * * »

فى كلمة (المخترعات وكتاب الفصول والغايات) : « ويأوى فى فراشه » وهى : (ويأوى إلى فراشه) وفيها : «المصوان» وهى (المصوات) بالتاء

(١) لا يريم : لا يفارق